مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 33، العدد (2)، ص ص 17 - 50، الرياض (2021م/ 1442هـ)

الأجل في القرآن الكريم «دراسة موضوعية دلالية»

يزيد بن عبداللطيف الصالح الخليف(1)

جامعة الجوف

(قدم للنشر في 24/ 06/ 1442هـ؛ وقبل للنشر في 26/ 07/ 1442هـ)

المستخلص: تناول هذا البحث مفردة (الأجل) في القرآن الكريم، دراسة موضوعية دلالية، وذلك بجمع الآيات الوارد فيها مفردة «الأجل»، وتبويب موضوعاتها حسب المعنى، وتحليلها لاستنباط دلالاتها وفوائدها. وتأتي أهمية هذا البحث من كونه كاشفا عن دلالة مفردة قرآنية تعدد ورودها في القرآن بمعانٍ مختلفة، مما يسهم في إكمال الدراسات الموضوعية الدلالية للقرآن الكريم. ويهدف هذا البحث إلى: بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردة الأجل والعلاقة بينهما، وإبراز استعمالات مفردة الأجل في القرآن الكريم، وتعيين المراد بها، وذكر صفاتها والإضافة فيها ودلالات ذلك كله. وقد خلص البحث إلى نتائج من أبرزها: أن علاقة المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي للأجل علاقة الجزء بالكل، وأن دلالة التوسعة والإمهال حاضرة في جميع استعمالات لفظة الأجل في القرآن الكريم، وأن الأجل وُصِف في القرآن الكريم بالمفرد وبالجملة الإسمية، أن إضافة الأجل في القرآن الكريم إما أن تكون للاسم الظاهر – لفظ الجلالة (الله) تبارك وتعالى –، أو أن تكون إلى الضمير.

الكلمات المفتاحية: الأجل، التفسير الموضوعي، الدراسات الموضوعية، الدلالة، الدراسات الدلالية.

Ajal in the Holly Qur'an "Semantic objective study"

Yazeed Abdullateef Alkhalif(1)

Jouf University

(Received 06/02/2021; accepted 10/03/2021)

Abstract: The aim of this research is to investigate the term "Ajal" in the Holy Qur'an, as an objective and semantic study, by collecting the verses contained in the word "Ajal", classifying their topics according to their meaning, and analyzing them to derive their implications and benefits. The importance of this research stems from the fact that it reveals a Qur'anic vocabulary that is numerous and mentioned in the Qur'an with different meanings, thus contributing to the completion of objective studies of the Holy Qur'an. This research aims to: uncover the linguistic and idiomatic meaning of the term "Ajal" and the relationship between them, highlight single-term uses in the Holy Qur'an, define what is meant by it, and mention its attributes and additions to it and the implications of all of that. The research concluded on the results of the most prominent of them: that the relation of the idiomatic meaning to the linguistic meaning of the term is the relation of the part to the whole, and that the connotation of extension and delay is present in all uses of the term "Ajal" in the Holy Qur'an, and that the term is described in the Holy Qur'an in the singular and the nominal sentence, that the addition in the term in the Holy Qur'an, either it is for the apparent name - the word of majesty (Allah), may He be blessed and exalted - or it is to the pronoun.

Key words: Ajal, objective interpretation, objective studies, significance, semantic studies

---

(1) أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بقسم الدراسات الإسلامية، بكلية الشريعة والقانون في جامعة الجوف.

(1) *Associate Professor of Tafseer and Quranic Sciences, Department of Islamic Studies, College of Sharia and Law, Jouf University.*

البريد الإلكتروني: e-mail: Yas@ju.edu.sa

المقدمة

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحابته أجمعين، وبعد:

فقد توافرت جهود علماء الإسلام علىٰ بيان كلام الله تبارك وتعالىٰ وتفسير آياته وتدبر معانيه، واستنباط حكمه وأحكامه، وكثرت في ذلك مؤلفاتهم، وتنوعت مقالاتهم.

ومع تطور علم التفسير؛ ظهرت عناية خاصة بمفردات تعدد ذكرها في القرآن الكريم، وتنوع استعمالها تبعا لسياقها، ومن هنا نشأ ما يُعرَف بالدراسات الموضوعية في القرآن الكريم، أو ما يسمىٰ بالتفسير الموضوعي.

ولما رأيت تَعدّدَ الآيات التي ورد فيها ذكر مفردة «الأجل»، وتنوع استعمالها؛ أحببت جمع هذه الآيات ودراستها دراسة موضوعية دلالية؛ لمعرفة معاني هذه الكلمة من خلال سياقها القرآني، واستنباط دلالاتها ومدىٰ ارتباطها بالمعنىٰ الموضوع لها.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها كاشفة عن دلالة مفردة قرآنية تعدد ورودها في القرآن بمعانٍ مختلفة، مما يسهم في إكمال الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم، فكان هذا البحث بعنوان: «**الأجل في القرآن الكريم: دراسة موضوعية دلالية**»، راجيا من الله تعالىٰ العون والسداد، والتوفيق والرشاد.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في خفاء المعنىٰ اللغوي والاصطلاحي لمفردة الأجل في القرآن الكريم واستعمالاتها، وصفاتها والإضافة فيها، ودلالة ذلك كله.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلىٰ حل إشكالية البحث من خلال ما يأتي:

1- الكشف عن المعنىٰ اللغوي والاصطلاحي لمفردة الأجل والعلاقة بينهما.

2- إبراز استعمالات مفردة الأجل في القرآن الكريم، وتعيين المراد بها في المواضع المختلفة.

3- ذكر صفات مفردة الأجل في القرآن ودلالاتها.

4- تحديد الإضافة في مفردة الأجل ودلالاتها.

حدود البحث:

أما حدود البحث فهي مفردة (الأجل) في القرآن الكريم، بتتبع الآيات الواردة فيها وجمعها وترتيبها وتفسيرها واستنباط دلالاتها.

منهج البحث وإجراءاته:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أتّبع المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بجمع الآيات الوارد فيها

مفردة «الأجل»، وتبويب موضوعاتها حسب المعنىٰ، وتحليلها لاستنباط دلالاتها وفوائدها.

وأما الإجراءات العلمية فعلىٰ النحو الآتي:

- حصرت جميع الآيات التي ذُكِرتْ فيها مفردة الأجل في القرآن الكريم، وقد وردت باشتقاقاتها في ستة وخمسين موضعا، وبوبتها حسب متعلقها في البحث وفق خطته.
- عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.
- خرّجت الأحاديث والآثار من مظانها، مع ذكر درجتها قدر المستطاع.
- طلبا للاختصار، فقد اكتفيت بذكر تاريخ وفاة الأعلام عَقِبَ ورودها في المتن.
- عزوت الأقوال والنصوص إلىٰ أصحابها وفق قواعد الاقتباس العلمية.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث علىٰ مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

- **المقدمة**: في أهمية البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وخطته، والدراسات السابقة.
- **المبحث الأول**: المراد بالأجل، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: معنىٰ الأجل في اللغة والاصطلاح والعلاقة بينهما.
  - المطلب الثاني: مرادفات الأجل وعلاقتها به.
- **المبحث الثاني**: أنواع الأجل في القرآن ومقاصدها، وفيه خمسة مطالب:
  - المطلب الأول: الأجل بمعنىٰ الوقت والمدة.
  - المطلب الثاني: الأجل بمعنىٰ الموت.
  - المطلب الثالث: الأجل بمعنىٰ العذاب.
  - المطلب الرابع: الأجل بمعنىٰ البعث.
  - المطلب الخامس: الأجل بمعنىٰ العدة.
- **المبحث الثالث**: صفات الأجل والإضافة فيه في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: صفات الأجل في القرآن الكريم ودلالاتها.
  - المطلب الثاني: الإضافة في الأجل في القرآن الكريم ودلالاتها.
- **الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.**

الدراسات السابقة:

كثرت الأبحاث في الدراسات المتعلقة بموضوعات القرآن الكريم، وقلما تُوجد مفردة قرآنية إلا وتناولها الباحثون وأفردوها بالدراسة.

وبالنظر في قواعد البيانات ومحركات البحث علىٰ الشبكة العنكبوتية وفهارس المكتبات، ظهر لي بعض الدراسات المتعلقة بهذا البحث، إلا أنها تفارق هذه الدراسة، سواء في منهجية دراستها، أو شمولية

عناصرها، ولتفصيل ذلك؛ فإن الدراسات التي سبقت– حسب ما توصلت إليه– علىٰ النحو الآتي:

1 – **المقالات المنشورة علىٰ مواقع الإنترنت**، منها:

– «وقفات قرآنية (ويؤخرهم إلىٰ أجل مسمىٰ)»، للدكتور خالد النجار، مقال منشور علىٰ موقع طريق الإسلام بتاريخ 4/ 12/ 2012م، اقتصر فيه كاتبه علىٰ موارد لفظة الأجل في القرآن الكريم وفق المعنىٰ اللغوي.

– «الأجل في القرآن الكريم»، لعبداللطيف بري، مقال منشور علىٰ موقع الكاتب بتاريخ 20/ 2/ 1432هـ، وهو مقال لمرجعية شيعية، اقتصر فيه علىٰ الحديث عن الأجل والأجل المسمىٰ بشكل عام، ثم تحدث عن الأجل من منظور فلسفي، ثم ساق مرويات عن آل البيت في معناه.

– «الأجل في القرآن الكريم»، مقال منشور في موقع جزايرس، دون ذكر لكاتبه بتاريخ 22/ 6/ 2012م.

– «ليس المقصود به الموت وحده، هذا ما يعنيه الأجل في القرآن» لعمرو خالد، مقال منشور علىٰ موقع الكاتب.

وغيرها من المقالات، وقد ارتكز الحديث فيها علىٰ بيان مورد الأجل علىٰ المعاني اللغوية لهذا المفردة، والحديث بشكل مجمل عن الأجل والأجل المسمىٰ.

ومن هنا يظهر الفرق بين هذه المقالات وهذا البحث؛ فعلاوة علىٰ عقيدة بعض كتابها، أو جهل مصدرها، وعدم تخصصهم؛ إلا أنها لم تستوف أنواع الأجل في القرآن الكريم واستعمالاته، وما يتعلق بذلك من أوصاف وإضافة، ودلالة ذلك كله، وهذا ما يتميز به هذا البحث.

2 – «**أجل الكون والإنسان في القرآن الكريم، دراسة موضوعية**»، للباحثة/ سميرة بنت عبدالرحمن آل زاهب، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، في جامعة الملك سعود لعام 1429هـ.

تناولت الباحثة مفهوم الأجل، ثم عرضت لارتباطه بالكون، ثم بينت العلاقة بين الأجل والإنسان، ثم ذكرت الآثار المترتبة علىٰ فهم حقيقة الأجل.

ونلحظ أن هذا منحىٰ في البحث غير الذي يهدف إليه بحثنا، فقد ارتكزت الباحثة علىٰ بيان حقيقة الأجل الشرعية والتصور الإسلامي له، بما يدحض المفاهيم المنحرفة والاعتقادات الباطلة، علاوة علىٰ أنها اقتصرت علىٰ معنىٰ من معاني الأجل، وهو الأجل بمعنىٰ انتهاء المدة الكون والإنسان، ولم تتطرق لبقية معانيه واستعمالاتها ودلالاتها ولا أوصافها ولا توابعها، وهذا ما تميز به بحثنا في استيفاء معاني هذه اللفظة وأوصافها والإضافة فيها ودلالة ذلك كله.

3 – **«الأجل» ضمن موضوعات موسوعة**

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، موسوعة صادرة عن مركز تفسير للدراسات القرآنية.

تناولت هذه الموسوعة ضمن موضوعاتها مفردة الأجل، فبدأت بمعنىٰ الأجل في اللغة والاصطلاح، ثم اشتقاقاته القرآنية، ثم الألفاظ المرادفة، ثم تفرع الكلام إلىٰ الحديث عن حقيقة الآجال واختصاص الله تبارك وتعالىٰ بها، ثم الحديث عن محو الآجال وإثباتها والخلاف في ذلك. ثم تناولت حكمة إخفاء الآجال، ثم الحديث عن أجل الإنسان والأمم والكون، والأجل في العبادات والمعاملات، ثم الأجل في الآخرة.

وهذه الدراسة هي الأقرب لبحثنا، وحقيقة أني لم أطلع عليها إلا بعد الانتهاء من كتابة البحث، ومع ذلك فإن هناك فروقا تميز بها بحثنا عن بحث الموسوعة، مما يجعل فيه إضافة علمية أكاديمية متخصصة، تتسق مع النشر العلمي الأكاديمي في المجلات العلمية، ومن هذه الفروق:

- أن هذه الدراسة - أعني الموسوعة - قد اقتصرت علىٰ بيان معنىٰ الأجل بإيجاز، وعددت أنواعه وبعض هداياته. أما بحثنا فقد تناول التأصيل اللغوي والاصطلاحي لمعنىٰ الأجل، مع بيان دلالة استعماله في جميع المواضع، ولذا كان بحثنا موضوعيًا دلاليًا، وفقا للمنهجية العلمية الأكاديمية المتبعة.

- الاختلاف في حصر وتقسيم أنواع الأجل، حيث قسمتْ الموسوعة الأجل إلىٰ أجل الإنسان والأمم والكون والعبادات والمعاملات والآخرة. أما بحثنا فقد ركّز علىٰ الاستعمال، وتقسيم الأنواع وفق ذلك، فقد يشترك نوعان في معنىٰ واحد، ولذا كان اهتمام بحثي بحقيقة الاستعمال لا نوع الأجل.

- أن بحثنا اعتنىٰ ببيان أوصاف الأجل ودلالة هذه الأوصاف ومصدر استعمالها، بخلاف هذه الموسوعة.

- أن بحثنا بيّن الإضافة في الأجل ودلالتها، وهذا ما لم يرد في دراسة الموسوعة.

ومن هنا تبرز الإضافة العلمية لهذا البحث. وتوافر المؤلفات علىٰ موضوع واحد واقع علىٰ مر العصور، إلا أن لكل مؤلف ميزته ومناحيه ومرتكزاته، وكلها يكمل بعضها بعضا.

والله أسأل أن يوفقنا للسداد والرشاد وحسن العمل وقبوله، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

***

المبحث الأول: المراد بالأجل

وفيه مطالب:

المطلب الأول: معنىٰ الأجل في اللغة والاصطلاح والعلاقة بينهما.

الأجل في اللغة: تعدّدت أصول هذه الكلمة واختلفت تصاريفها واشتقاقاتها ومعانيها، حتىٰ ذهب

بعضهم إلىٰ أنها معانٍ متباينة في اللغة، منها ما يجتمع في نفس الأصل، ومنها ما يفترق، قال ابن فارس (ت395هـ): «اعلم أنّ الهمزة والجيم واللّام يدلّ علىٰ خمس كلمات متباينة، لا يكاد يمكن حمل واحدة علىٰ واحدة من جهة القياس، فكلّ واحدة أصلٌ في نفسها»[1].

فالأَجَلُ: مدة الشيء، واستأجله فأجله إلىٰ مدة[2]. والأَجَلُ: غاية الوقت ونهايته، في الموت وحلول الدَّين وغيره، ومنه قولهم: وغاية الأجيل مهواه الردىٰ، ومنه الآجلة، أي: الآخرة[3].

والأَجْل: مصدرٌ، تقول: أَجَلتُ عليهم آجَلُ أَجْلا، إذا جررت عليهم جريرة وجنيت عليهم جناية، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾ (المائدة: 32)، أي: من جرائه وجنايته، ومنه قول خوات بن جبير الصحابي (ت40هـ):

وأهلُ خباءٍ صالحٌ ذاتَ بينهم *
قد احتربوا في عاجلٍ أنا آجله

أي: أنا جانيه[4].

وأَجَلْ: تصديق لخبر المخبِر، بمعنىٰ: نعم[5]، وتعني: انتهىٰ الجواب وبلغ غايته[6]، أو أن الوقت الموجب له أو المستفهم عنه قد حضر[7].

وأَجَلَ الشَّيْء أَجَلًا؛ حَبسه وَمنعه؛ لأن الأجل حابس ومانع للمؤجل[8]، ومنه: المِأجَل: وهو شبه حوض يجمع فيه الماء، ثم يفجر في المزرعة، وأجّلوا مالهم؛ أي: حبسوه[9]، ومنه (أجلىٰ)، وهو مرعىٰ معروف؛ كأنه لحسنه حبس الراعي فيه[10].

وأَجِلَ لأهله؛ إذا كسب وجمع وجلب واحتال[11].

والإِجْل - بالكسر -: قطيع بقر الوحش[12]،

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس (1/ 64).

(2) انظر: مختار الصحاح، للرازي (ص14)، ولسان العرب، لابن منظور (11/ 11)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص960).

(3) انظر: العين، للفراهيدي (6/ 178)، وتهذيب اللغة، للأزهري (11/ 132).

(4) انظر: المراجع السابقة.

(5) انظر: مختار الصحاح، للرازي (ص14)، ولسان العرب، لابن منظور (11/ 11)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص960).

(6) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (1/ 64).

(7) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (9/ 378).

(8) انظر: المرجع السابق.

(9) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (11/ 133)، ولسان العرب، لابن منظور(11/ 12)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص960).

(10) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (9/ 377).

(11) انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، (ص960).

(12) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (11/ 133)، ولسان العرب، لابن منظور (11/ 12)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي=

تشبيها له بالأجل من حيث حصانته وقوته في اجتماعه، ومنه: تأجل القوم، إذا اجتمعوا؛ لأنه أحصن لهم[13].

والإجْل - بالكسر أيضا -: وجع في العنق[14]؛ لأنه من أسباب حلول الأجل[15].

وأُجل - بالضم -: جمع أجيل للمجتمع من الطين حول النخلة؛ سمي بذلك لإحاطته بها إحاطة الأجل بصاحبه[16].

وحاصله: أن معنىٰ الأجل في اللغة عائد إلىٰ المدَّة، **سواء إليها نفسها**؛ كالتأجيل بمعنىٰ تحديد المدة، **أو إلىٰ آخرها**؛ كالأجل بمعنىٰ الموت وحلول الدين، **أو إلىٰ ما يدني منها**؛ كالإجل بمعنىٰ الوجع في العنق، **أو إلىٰ منفعتها**؛ كالتأجيل مدة تمنع من أخذ الشيء دون ما ضرب له من المدة، وكالإجل: لبقر الوحش منعة وحصنا، **أو إلىٰ ما يلزم فيها**؛ كأَجِلَ لأهله، فدارت تصاريف هذه الكلمة علىٰ الوقت والحين[17]، خلافا لما ذهب إليه ابن فارس، والله تعالىٰ أعلم.

وأمـا الأجـل في الاصـطلاح: فإنـه يطلـق علىٰ الوقت الذي ينتهي عنده الأجل، أو علىٰ مدة الحياة كلها، وهو الوقت الذي قدره الله تبارك وتعالىٰ لانقضاء الأشياء شرعا غاية لأحكام شرعية، وكونا لانقضاء مقادير محددة.

وقد عرفه الراغب الأصفهاني (ت502هـ) بأنه: «المدة المضروبة للشيء»[18].

وعرفه الحرالي (ت638هـ) بأنه: «مشارفة انقضاء أمد الأمر حيث يكون منه ملجأ الذي هو مقلُوبُهُ كأنه مشارفة فراغ المدة»[19].

فالأجل في اصطلاح العلماء راجع إلىٰ المدة المحددة التي ينتهي الأمر ببلوغها.

ومن هنا تظهر العلاقة بين المعنىٰ الاصطلاحي والمعنىٰ اللغوي، حيث إنه جزء من الكل، فاصطلاح العلماء علىٰ معنىٰ الأجل إنما هو أحد معانيه في اللغة - كما سبق -، وهذا المعنىٰ هو أظهر معانيه اللغوية، بل إليه تعود بقية المعاني وعليه مدارها، ولذا فإن استعمال الأجل في القرآن الكريم جاء وفق هذا المعنىٰ العام، وإن اختلف المراد منه، كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

=(ص960).

(13) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (9/ 377).

(14) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (11/ 133)، ولسان العرب، لابن منظور (11/ 12)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص960).

(15) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (9/ 377).

(16) انظر: المرجع السابق.

(17) انظر: المرجع السابق.

(18) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص65).

(19) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (3/ 319).

المطلب الثاني: مرادفات الأجل وعلاقتها به.

هناك ثمة كلمات مرادفة للأجل، تؤدي معناه أو قريبا منه بصور متعددة، وأساليب متنوعة، **والذي يعنينا** هو دراسة المرادفات الواردة في القرآن الكريم المتعلقة بالأجل، من خلال إيجاد العلاقة بينها وبينه، لا مطلق الترادف في عموم اللغة، **فمن ذلك**:

الموت: بفتح الميم مصدر مات يموت موتًا، وهو ضد الحياة، وهو في الأصل ذهاب القوة من الشيء، قال ابن فارس (ت395هـ): «الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء، منه الموت: خلاف الحياة»[20].

وهو أنواع يجمعها ذهاب القوة وزوالها، حسية كذهاب الروح عن الجسد في الإنسان والحيوان، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ (آل عمران:185)، وزوال الحياة عن النبات، كما قال تعالىٰ: ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ (الفرقان:49)، ومعنوية كزوال حياة القلب، كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ (الأنعام:122).

والعلاقة بين الأجل والموت: تتمثل في تحقق قضاء الله تبارك وتعالىٰ وقدره في انتهاء حياة الإنسان بانتهاء المدة التي حددها الله بإرادته وقسمها بمشيئته ممتدة إلىٰ بلوغ نهايتها، والتي عبّر عنها بالأجل، ثم تحقيق ذلك بالنهاية الحتمية والتي عبر عنها بالموت، فيموت بانقضاء الأجل الذي علمه الله وأجله له وحدده له، فعن ابن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربعة: برزقه وأجله وشقي أو سعيد) الحديث[21].

الوفاة: وهي الإكمال والإتمام، ومنه قولهم: استوفيته: إذا أخذته كله وافيا، ولذا يقال للميت: توفاه الله، إذا أتم أجله ووفّاه إياه[22]، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر:42)، قال المناوي (ت1031هـ): (الوفاة: استخلاص الحق من حيث وضع أن الله نفخ الروح، وأودع به النفس ليستوفيها بعد أجل من حيث أودعها، فكان ذلك توفيا تفعلا من الوفاء، وهو أداء الحق، ذكره الحرالي. وقال أبو البقاء: الوفاة الموت، وأصله توفية الشيء إذا أخذته كله)[23].

والعلاقة بين الأجل والوفاة: تظهر من خلال معناهما، فالوفاة استيفاء الشيء واستخلاصه، والأجل

(20) مقاييس اللغة، لابن فارس (5/ 283).

(21) أخرجه البخاري في باب ذكر الملائكة، برقم (3063)، (3/ 1174)، ومسلم في كتاب القدر، برقم (6816)، (8/ 44).

(22) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (6/ 129)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، لابن عاشور (24/ 24).

(23) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، للمناوي، (ص339).

علامة استيفائه واكتماله، فلا يمكن القطع بحصول الوفاء وإتمامه إلا بحصول الأجل الذي تنقطع به الزيادة، والله تعالىٰ أعلم.

الهلاك: وهو الموت، يقال: هلك فلان هلاكا وهلوكا ومهلكا وتهلكة إذا مات، ويطلق علىٰ بطلان الشيء وفنائه[24]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولاً ﴾ (غافر:34).

والعلاقة بين الأجل والهلاك: تظهر في تحقق عدم أهلية الجسد لبقاء الروح فيه بسبب عطب أو مرض، والذي من شأنه حدوث الهلاك المفضي إلىٰ الموت، فإذا حصل الموت كان علامة علىٰ استيفاء مدة الأجل، فالأجل هو مدة العمر إلىٰ نهايتها، والهلاك هو النهاية التي تتحقق بها نهاية هذه المدة.

العمر: قال المناوي (ت1031هـ): «العمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة، فهو دون البقاء، فإذا قيل: طال عمره، فمعناه عمارة بدنه بروحه. وإذا قيل بقاؤه فلا يقتضىٰ ذلك، فإن البقاء ضد الفناء»[25]، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ ﴾ (فاطر:11).

والعلاقة بين الأجل والعمر: أن كليهما محل لعمارة البدن بالحياة ومدة بقائه، فالعمر كامل المدة التي يعمر فيها البدن بالحياة، والأجل هو نهاية هذه العمارة.

وكذلك فإن الأجل لا يقبل التغيير والتبديل، قال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف:34)، ويحمل علىٰ ما قدره الله في اللوح المحفوظ، بخلاف العمر، فإنه قابل للزيادة والنقصان بأسبابه، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ ﴾ (فاطر:11)، وهو محمول علىٰ ما في صحف الملائكة، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما[26]، ويؤيده ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه)[27]، والله تعالىٰ أعلم.

الحياة: قال المناوي (ت1031هـ): «في الأصل: الروح وهي الموجبة لتحرك من قامت به»[28]، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ (البقرة:96).

والعلاقة بين الأجل والحياة: علاقة وجود وكينونة بمعنىٰ أن الأجل يحدد مدة الحياة حسب ما

---

(24) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (6/ 62)، والتوقيف علىٰ مهمات التعاريف، للمناوي (ص344).

(25) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، للمناوي (ص247).

(26) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (1/ 128-129).

(27) أخرجه البخاري في باب من أحب البسط في الرزق، برقم (1961)، (2/ 728)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، برقم (6616)، (8/ 8).

(28) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، للمناوي (ص150).

قدره الله تعالىٰ، وأن الحياة بمعنىٰ بقاء الإنسان حياً يمثل تنفيذ ذلك الأجل بكل مراحله، حتىٰ إذا انتهىٰ الأجل انتهت الحياة، وكانت تلك هي الدالة علىٰ ذلك والعلامة البارزة عليه.

هذه هي أبرز مرادفات الأجل في القرآن الكريم، ظهر من خلالها تداخلها مع الأجل بجانب من الجوانب، لكن الأجل له معنىٰ خاص لا يشاركه فيه مرادف من كل وجه، ولذا كان استعمال هذه المفردة في القرآن الكريم لدلالة خاصة، كما سيظهر لنا في المباحث القادمة بإذن الله تعالىٰ.

* * *

المبحث الثاني: أنواع الأجل في القرآن ومقاصدها

وفيه مطالب:

المطلب الأول: الأجل بمعنىٰ الوقت والمدة.

ورد لفظ الأجل في القرآن الكريم بمعنىٰ الوقت والمدة في مواطن عديدة.

والوقت هو مادة الزمان وحده ومحله، قال ابن فارس (ت395هـ): «(وقت) الواو والقاف والتّاء: أصل يدلّ علىٰ حدّ شيء وكنهه في زمان وغيره، منه الوقت: الزّمان المعلوم، والموقوت: الشّيء المحدود»[29].

وقال الأصفهاني (ت502هـ): «الأَجَل: المدّة المضروبة للشيء»[30]. فالأجل هو المدة المضروبة والوقت المحدد، وهذا أعم معاني الأجل، ويمكن حمل جميع معانيه عليه بتخصيص مضافة.

ويفارق الوقتُ الأجلَ في معنىٰ دقيق، وهو أن الوقت والمدة هو امتداد الزمن، أما الأجل فهو غايته ونهايته، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ (القصص: 29)، أي: أتم المدة المحددة التي اصطلحا عليها وفرغ منها، قال البغوي (ت510هـ): «يعني: أتمه وفرغ منه»[31]، فتمام المدة أجل، وهو متضمن لها، فالأجل هو المدة وزيادة، ومن هنا تتبين العلاقة بين المعنيين، فكل أجل مدة، وليس كل مدة أجلا[32].

قال تعالىٰ: ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ (البقرة: 282)، أي: إذا تداينتم بدين إلىٰ وقت محدد ومدة معلومة؛ فاكتبوا هذا الدين.

وعبّر بالأجل هنا – والله أعلم –؛ لبيان نهاية وقت الدين، وهو الوقت المعلوم والأجل المسمىٰ، ولذا فإنه لا يجوز أن يكون التداين إلىٰ أجل غير مسمىٰ[33]، وهنا تظهر فائدة التعبير بالأجل، حيث إن

(29) مقاييس اللغة، لابن فارس (6/ 131).

(30) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص65).

(31) تفسير البغوي (3/ 533).

(32) انظر: الفروق اللغوية، للعسكري (ص273).

(33) انظر: تفسير القرطبي (3/ 378).

الأجل هو انتهاء الوقت، ولا يمكن أن يكون هذا الانتهاء معلوما إلا بأن يكون مسمىٰ.

ومعنىٰ الإمهال والتوسعة حاضر في استعمال الأجل، فالتداين إلىٰ أجل هو إمهال إلىٰ بلوغه، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن عائشة ﵂: (أن النبي ﷺ اشترىٰ طعاما من يهودي إلىٰ أجل، ورهنه درعا من حديد)[34]، فرهن النبي - بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه - درعه إلىٰ أجل؛ ليكون علامة علىٰ انتهاء المهلة التي يفي بها الثمن، فتأخير دفع الثمن إلىٰ أجل فيه من الإمهال والتوسعة إلىٰ حينه، ولذا استُعمل هذا اللفظ لدلالته علىٰ المراد.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ ﴾ (النساء: 77)، حين فرض الله القتال علىٰ المؤمنين - علىٰ القول بأن القائلين مؤمنون[35] - بعد أن كانوا مأمورين بالكف، طلب بعضهم زيادة الإمهال والتوسعة في وقت الكف عن القتال ريثما يستعدوا له وتتهيأ نفوسهم، واستجابة لداع الطباع من كراهية الموت وحب الدنيا.

وإن كان القائلون من المنافقين[36]، أو اليهود[37]؛ فظاهرٌ أن طلبهم اعتراض وكره لأمر الله، وطلب لتأجيل الأمر حتىٰ تنتهي آجالهم بالموت لا بالقتال، وأيًا كان القائل فإن طلب الإمهال وتوسعة الوقت ظاهر في التعبير بالأجل، والله تعالىٰ أعلم.

المطلب الثاني: الأجل بمعنىٰ الموت.

وقد ورد لفظ الأجل في القرآن الكريم بمعنىٰ الموت، وهو خلاف الحياة، وهو أخص معنىٰ له، وإن كان يستعمل في ذهاب القوة من الشيء، قال ابن فارس (ت395هـ): «الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل علىٰ ذهاب القوة من الشيء، ومنه الموت: خلاف الحياة»[38].

وهو أجل انقضاء العمر ونهايته بانقضاء مدته التي جعلها الله تعالىٰ، قال العسكري (ت395هـ): «وأجل الموت وقت حلوله وذلك الانقضاء مدّة الحياة قبله»[39]، ومن هنا تظهر علاقة المعنيين، حيث إن

(34) أخرجه البخاري في باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة، برقم (1962)، (2/ 729)، ومسلم في كتاب البيوع، برقم (4123)، (5/ 55).

(35) وهو قول ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي، انظر: تفسير الطبري (8/ 549)، وهو قول أكثر المفسرين كما ذكر الواحدي في التفسير البسيط (6/ 605).

(36) حكاه القرطبي في تفسيره (5/ 281).

(37) وهو قول مجاهد، انظر: تفسير الطبري (8/ 550).

(38) مقاييس اللغة، لابن فارس (5/ 283).

(39) الفروق اللغوية، للعسكري (ص273).

الموت هو نهاية هذا الأجل الذي أجله الله وكتبه لانقضاء العمر، وذلك بانخرام سلامة الجسد بأحد العوارض التي قدرها الله تعالىٰ، قال ابن عاشور (ت1393هـ): «وشاع إطلاقه علىٰ امتداد الحياة، وهو المدّة المقدّرة لكلّ حيّ بحسب ما أودع اللّه فيه من سلامة آلات الجسم، وما علمه اللّه من العوارض الّتي تعرض له فتخرم بعض تلك السّلامة أو تقوّيها»[40].

وقد استعمل القرآن الكريم هذا اللفظ لهذا المعنىٰ في عدّة مواضع، قال تعالىٰ إخبارا متحققا في المستقبل عما يقوله المكذبون حين يرون العذاب: ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ ﴾ (الأنعام:128)، قال السدي والحسن وابن جريج[41] وجمهور المفسرين[42]: هو الموت.

فقد استُعمل الأجل في هذه الآية – علىٰ قول الجمهور – في معنىٰ الموت وانقضاء المدة التي كانت التوسعة لهم فيها وقت الخطاب، حثا لهم علىٰ تدارك الحياة واستغلال لحظاتها بالعودة إلىٰ الله تعالىٰ، وأنهم إن لم يعودوا وقت الإمهال؛ كان مآلهم التحسر والخسران، وحديثهم بصيغة الماضي عن هذا الواقع في المستقبل؛ لتحقق وقوعه وأنهم سيرونه عيانا بيانا.

ويؤيد ذلك أن الأجل مأخوذ من التأجيل والتوسيع في الوقت، ولذا فإن ورود لفظ الموت في القرآن الكريم لا يفيد معنىٰ التوسيع كما هو الحال في استعمال مفردة الأجل، فالموت يستعمل لانقطاع الحياة، أما الأجل فيفيده وزيادة الإمهال إلىٰ وقت الموت، ولذا فإن المسرف علىٰ نفسه حين يأتيه الموت يطلب الأنظار إلىٰ أجل قريب، قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ (المنافقون:10)، قال أبو منصور الماتريدي (ت330هـ): «فأخبر ﷻ أن الموت إذا أتاه طلب التأخير ليبذل ما طلب منه البذل قبل ذلك من التصدق والإيمان به، فقطع عنهم طمعهم بقوله: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ ﴾ (المنافقون:11)، وبقوله: ﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف:34)، وبقوله: ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ ﴾ (نوح:4)»[43].

وفي استعمال لفظ الأجل معنىٰ اللوم والتحسر، فقد عدل إليه بعد أن استعمل لفظ الموت، فقال: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ ﴾ (المنافقون:11)، فزمن الإمهال الذي كان موسعا للإنسان فيه بالامتثال وتقديم العمل الصالح قد انتهىٰ، وبقيت حسرة التفريط، ولذا

(40) التحرير والتنوير، لابن عاشور (15/ 221).

(41) انظر: تفسير الطبري (9/ 557)، والتفسير البسيط، للواحدي (8/ 437)، وتفسير الماوردي (2/ 168).

(42) انظر: التفسير البسيط، للواحدي (8/ 437).

(43) تفسير الماتريدي (10/ 222).

يكون منهم التحسر والندم الشديد في الآخرة علىٰ ما فرطوا في حياتهم الدنيا.

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ ﴾ (الأعراف:185)، فقد حثهم علىٰ النظر والمسارعة في طلب الحق قبل أن يحين بهم الأجل، فينقضي زمن الإمهال، قال الرازي (ت660هـ): «والمعنىٰ: لعلّ آجالهم قربت فهلكوا علىٰ الكفر ويصيروا إلىٰ النّار، وإذا كان هذا الاحتمال قائما وجب علىٰ العاقل المسارعة إلىٰ هذه الفكرة، والمبادرة إلىٰ هذه الرّؤية، سعيا في تخليص النّفس من هذا الخوف الشّديد والخطر العظيم»(44).

وقد جاء هذا المعنىٰ في السنة النبوية، فقد روىٰ البخاري (ت256هـ) عن عبد اللّه بن مسعود ﷺ، قال: خطّ النبي ﷺ خطا مربعا، وخطّ خطا في الوسط خارجا منه، وخطّ خططا صغارا إلىٰ هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: (هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به – أو: قد أحاط به – وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا)(45)، قال ابن حجر (ت852هـ): «وفي الحديث إشارة إلىٰ الحضّ علىٰ قصر الأمل والاستعداد لبغتة الأجل، وعبّر بالنّهش وهو لدغ ذات السّمّ مبالغة في الإصابة والإهلاك»(46).

وقد عرَّض بالمنّة عليهم بالتأجيل والإمهال، ما معه يستزيدون من الطاعة ويأوبون له بالتوبة، قال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ (الإسراء: 99)، قال ابن عاشور (ت1393هـ) عند هذه الآية: «وقد تضمّن قوله: ﴿ لَهُمۡ أَجَلٗا ﴾ تعريضا بالمنّة بنعمة الإمهال علىٰ كلا المعنيين وتعريضا بالتّذكير بإفاضة الأرزاق عليهم في مدّة الأجل؛ لأنّ في ذكر خلق السّماء والأرض تذكيرا بما تحتويه السّماوات والأرض من الأرزاق وأسبابها»(47).

وأذكىٰ فيهم الاستعداد للقاء الله، والتعجل إلىٰ امتثال أمره والتقرب إليه، فقال: ﴿ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ ﴾ (العنكبوت:5)، قال الزمخشري (ت538هـ): «من كان يأمل تلك الحال، وأن يلقىٰ فيها الكرامة من الله والبشر فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ وهو الموت لَآتٍ لا محالة، فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه، ويحقق أمله، ويكتسب به القربة عند الله والزلفىٰ»(48).

فإذا لم ينتفع العبد بهذا الحض والإعذار وحضر

(44) تفسير الرازي (15/ 421).

(45) أخرجه البخاري في باب في الأمل وطوله، برقم (6054)، (5/ 2359).

(46) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (11/ 238).

(47) التحرير والتنوير، لابن عاشور (15/ 222).

(48) تفسير الزمخشري (3/ 440).

الأجل، فعندها لا ينفع التحسر والندم، فيقع أمر الله ويحل الأجل، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ (نوح:4)، قال الواحدي (ت468هـ): «يعني أجل الموت، وأجل العذاب، وكل أجل مسمىٰ عند الله لشيء إذا جاء لم يؤخر، والمعنىٰ: آمنوا قبل الموت تسلموا من العقوبات، فإن أجل الموت إذا حل لم يؤخر، فلا يمكنكم الإيمان إذا جاء الأجل»[49].

فتبين أن غالب استعمال لفظ الأجل بمعنىٰ الموت لإفادة معنىٰ الموت وزيادة، وهي أن التذكير بالموت كان في وقتٍ صَحِبَهُ مهلة وتأجيلا إلىٰ أن حصل الموت، كما أن الغالب علىٰ هذا الاستعمال أن يكون وقت التندم في الآخرة، فإذا عاينوا العذاب وانقطع عذرهم تحسروا علىٰ التفريط في إمهال الله لهم إلىٰ أن حضر أجلهم، ويؤيده أن سياق استعمال لفظ الموت في الحياة الدنيا، فتأمل قوله تعالىٰ: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة:94)، وقوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ (البقرة:133)، والله تعالىٰ أعلم.

المطلب الثالث: الأجل بمعنىٰ العذاب.

وقد ورد لفظ الأجل في استعمال القرآن الكريم بمعنىٰ العذاب في مواطن متعددة أيضا.

والعذاب في الأصل مستعمل في الضرب، ثم استعير في كل شدة[50]، وقد استعمل لهذا المعنىٰ في القرآن الكريم كثير من الكلمات، كالعقاب والنكال واللزام والأجل وغيرها، ولكل دلالته، والذي يعنينا هنا استعمال الأجل بمعنىٰ العذاب.

وبتتبع وروده في القرآن الكريم نجد أن دلالة الإمهال حاضرة في موارد هذه اللفظة، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (يونس:49)، وهذا وعيد من الله تعالىٰ لكفار مكة والمكذبين عامة، فإن لكل معاند مكذب موعداً للعذاب، فإذا نزل به فلا ينفعه ما تقدم من زمن الإمهال، وهذا أعظم زاجر لهم، وفيه إيقاظ لعقولهم من أن يغرهم الإمهال، فقد رأوا مصارع الأمم قبلهم، وكيف أن الله قد أنزل بهم العذاب، ولم يكن لهم حينها مهرب، ولا يسبقون ساعتهم ولا يستأخرون عنها، ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ (الحجر:5).

ولما طال الأمد وتأخر وقوع العذاب؛ تمادوا في غيهم وتكرر منهم استعجاله، قال الله تعالىٰ مخبرا عنهم: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال:32)، وقال مخبرا عنهم أيضا: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ (ص:16)، ولهذا جاء التذكير بالأجل وأنه واقع لا محالة، وإن تأخر وقوعه، لحكمة

(49) التفسير البسيط، للواحدي (22/ 250).

(50) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (4/ 260).

أرادها الله تبارك وتعالىٰ، وفي ذلك طمأنة لنبيه ﷺ.

ولم يعاجلهم بالعذاب؛ جريا علىٰ سُنَنِه تبارك تعالىٰ في إمهال الظالمين، حتىٰ إذا اطمأنوا لذلك ونسوا عذاب الله حل بهم فندموا ولات مندم، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (الأنعام:44).

وربما كان هذا الإمهال رحمة الله تعالىٰ، فيعودوا إليه ويتوبوا قبل أن يحل بهم عذابه، ولما لقي النبي من قومه ما لقي - كما في حديث عائشة رضي الله عنها -، قال: (فانطلقت وأنا مهموم علىٰ وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله مَن أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا)[51]، فأسلم كثير وصاحبوا رسول الله ﷺ، وخرج من أصلابهم من عبد الله وحده لا شريك له.

وقال تعالىٰ في حق آل فرعون حين كذبوا موسىٰ عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ (الأعراف:135)، كشف الله عنهم العذاب وأمهلهم عل أن يكون منهم إيمان وأوبة، فلم يسلموا بل زاد تكذيبهم ونكثوا العهد، فاستحقوا عذاب الله، قال الزمخشري (ت538هـ): «﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ ﴾ إلىٰ حدّ من الزمن هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلىٰ حلوله ﴿ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾»[52].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (الرعد:38-39)، قال ابن عاشور (ت1393هـ): «تذييل؛ لأنّه أفاد عموم الآجال فشمل أجل الإتيان بآية... وذلك إبطال لتوهّم المشركين أنّ تأخّر الوعيد يدلّ علىٰ عدم صدقه،... وإذ قد كان ما سألوه من جملة الآيات وكان ما وعدوه آية علىٰ صدق الرّسالة؛ ناسب أن يذكر هنا أنّ تأخير ذلك لا يدلّ علىٰ عدم حصوله، فإنّ لذلك آجالا أرادها اللّه واقتضتها حكمته، وهو أعلم بخلقه وشؤونهم، ولكنّ الجهلة يقيسون تصرّفات اللّه بمثل ما تجري به تصرّفات الخلائق»[53]، وفي

(51) أخرجه البخاري في باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، برقم (3231)، (4/ 115)، ومسلم في كتاب المغازي، برقم (1795)، (3/ 1420).

(52) تفسير الزمخشري (2/ 148).

(53) التحرير والتنوير، لابن عاشور (13/ 164).

هذا تعريض بالوعيد، فإن استعجالهم وعدمه لا يقدم ولا يؤخر وقوع العذاب إذا أراده الله تعالىٰ، وذاك حين بلوغ أجله.

ولما طلبوا وقوع العذاب؛ استخفافا به ﷺ وتكذيبا، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ ﴾ (العنكبوت:53)؛ أبطل الله تعالىٰ ما قصدوه؛ فقال: ﴿ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (العنكبوت:53)، فإن وقوع عذاب الله ليس بيد النبي ﷺ، ولا بطلبهم – مع استحقاقهم له بتكذيبهم –، وإنما لأجل قدّره الله لحكمته، وسيحين هذا الأجل، وستنقضي فترة إمهالهم، ﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

وقد نبههم الله تعالىٰ إلىٰ التفكر في ملكوت السماوات والأرض، لعلهم بهذا التفكر يصلون إلىٰ حقيقتها وسنن الله تعالىٰ فيها، وما جرىٰ للمكذبين تحت سمائها وفوق أرضها، وفي هذا تهديد ووعيد بأجل غير معروف ولا متوقع حدوثه، قال تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف:185)، قال ابن عاشور (ت1393هـ): «ومعنىٰ النّظر في توقّع اقتراب الأجل، التّخوّف من ذلك. والأجل المضاف إلىٰ ضمير المكذّبين هو أجل الأمّة لا أجل الأفراد؛ لأنّ الكلام تهديد بأجل غير متعارف، نبّههم إلىٰ التّفكّر في توقّع حلول الاستئصال بهم وإهلاكهم كما هلك المكذّبون من قبلهم»[54].

ومع هذا كله فإن الله تبارك وتعالىٰ رحيم بخلقه، رفيق بهم ينعم عليهم بالإمهال ويذكرهم به ويوقظ عقولهم بالآيات، وينوع عليهم أساليب البيان، ولو عجل لخلقه العذاب لفسد هذا النظام الذي أراد بناءه وبقاءه، فقال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (يونس:11).

المطلب الرابع: الأجل بمعنىٰ البعث.

وقد ورد لفظ الأجل في القرآن الكريم بمعنىٰ البعث وقيام الساعة، وذلك في مواضع متعددة أيضا.

قال تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (العنكبوت:5)، قال ابن عباس رضي الله عنه: هو يوم القيامة[55]، وفائدته التحريض علىٰ الاستعداد له، إذ إن من يرجوه ويؤمن به؛ يعمل له عمل المتيقن حدوثه، وهذا لا يكون إلا من المؤمن به، ومفهومه أن من كان كافرا به فإنه لا يرجوه ولا يحدث نفسه بالاستعداد له.

كما أن فيه تصبيرا للمؤمنين، ولا سيما الذين نالتهم فتنة الكافرين، فمهما طال ظلمهم وبغيهم إلا أن لهذه الفتنة أجلاً ونهاية، ستنتهي ويحل أجلها ﴿ لِكُلِّ

(54) التحرير والتنوير، لابن عاشور (9/ 197).

(55) انظر: التفسير البسيط (17/ 494).

أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (الرعد:38)، إما في الدنيا كما حصل للمؤمنين من النصر في بدر وغيرها، وإما في الآخرة بما وعد الله تعالىٰ لأوليائه، ولهذا كان التذييل بأسماء الله الحسنىٰ (السميع العليم)، فقد سمع الله تبارك وتعالىٰ مقالة بعضهم في استعجال النصر، كما قال: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ ﴾ (البقرة:214)، وعليم بما في نفوسهم من استعجال النصر.

فأما قوله تعالىٰ: ﴿ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (نوح:4)، قال الحسن البصري (ت110هـ): «يَعْنِي: الْقِيَامَةَ»[56]، فقد حرّض علىٰ الاستعداد له والاهتمام به، حيث جاء في معرض الامتنان عليهم بتأخيرهم إلىٰ أجل مسمىٰ، ثم أومأ إلىٰ تحقق حدوثه بإضافته إلىٰ اسم الله ﷻ، وفي ذلك تعظيم له وتحقيق لحدوثه وأنه لا يخلف.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴾ (المرسلات:11-12)، فقد اختلف المفسرون في نوع (أي)، هل هي استفهامية فتكون الجملة استئنافية، ومعنىٰ الاستفهام التعظيم والتهويل؟ أم أنها موصولة بمعنىٰ: ليوم أيُ يومٍ أجلت، وهي أيضا: للتعظيم والتهويل؟[57]

وعلىٰ كلا القولين فإن التأجيل معناه التأخير، والمقصود حصول الأجل الذي أجله الله، ثم بينه بيوم الفصل الذي يقضي الله تبارك وتعالىٰ فيه بين الخلائق.

المطلب الخامس: الأجل بمعنىٰ العدة.

وقد ورد لفظ الأجل في القرآن الكريم بمعنىٰ العِدَّة في عدة مواضع.

والعِدَّة: هي تربص المرأة وانتظارها عند وفاة زوجها أو تطليقه إياها، مأخوذ من العدِّ وهو الإحصاء[58]. قال الجصاص (ت370هـ): «وقد عبّر عن العدّة بالأجل في مواضع، منها قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ ﴾ (الطلاق:2)،... وقال تعالىٰ: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ﴾ (الطلاق:4)، وقال: ﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ ﴾ (البقرة:232)، وقال: ﴿ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ ﴾ (البقرة: 235) فكان المراد بالآجال المذكورة في هذه الآي هي العِدَد»[59].

فأما قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ (البقرة:231)، وقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ ﴾ (الطلاق:2)؛ فالمقصود

(56) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (5/ 39).

(57) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (29/ 426).

(58) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (1/ 69)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (4/ 29)، والتعريفات، للجرجاني (ص148).

(59) أحكام القرآن، للجصاص (1/ 481).

بالأجل فيهما آخر العدة، وليس انتهاؤها بالإجماع[60]، إذ لا رجعة بعد انتهاء العدة، قال الزمخشري (ت538هـ): «أي: آخر عدتهن وشارفن منتهاها»[61].

وأما وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ (البقرة: 232)، فإن المقصود انقضاء العدة، قال القرطبي (ت671هـ): «معنىٰ (بلغن) قاربن، بإجماع من العُلماء، ولأنّ المعنىٰ يضطرُّ إلىٰ ذلك؛ لأنّهُ بعد بُلُوغ الأجل لا خيار لهُ في الإمساك، وهُو في الآية الّتي بعدها – يعني هذه الآية – بمعنىٰ التّناهي؛ لأنّ المعنىٰ يقتضي ذلك، فهُو حقيقةٌ في الثّانية، مجازٌ في الأُولىٰ»[62].

ويظهر في استعمال لفظ الأجل في العدة معنىٰ الإمهال، إذ إن التربص إلىٰ انتهاء المدة إمهال وفيه معنىٰ التأجيل، وكأنه – والله أعلم – أراد باستعمال هذا اللفظ تحقيق مقصد العدة بإمهال الزوج فترة تكفي للتفكر والعود ومراجعة الزوجة، وفي هذا التشريع مراعاة لمصلحة عقد النكاح.

وكما أن الله قد حفظ للزوجة حقها في العدة تطويلا لوقتها، وإمهالا للزوج في مراجعة زوجته بعد التفكر والتعقل؛ كذلك حفظ حقها في تحريم المضارة بها في تطويل الأجل، فقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ ﴾ (البقرة:231)، قال البغوي (ت510هـ): «أي: لا تقصدوا بالرجعة المضارة لهن بتطويل الحبس»[63].

وإذا كان الأمر كذلك فإن إبقاء المرأة المتربصة مدة أطول مما حده الله تعالىٰ سواء في عدة الوفاة أو الطلاق إضرار بها وتضييق عليها، ولذا فإن الله أسند إليهن الأجل بقوله: ﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ (البقرة:231)، و﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ (الطلاق:2)، و﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ ﴾ (الطلاق:4)، وهنا يظهر جمال التشريع وحكمة الشارع؛ حيث حفظ حق المرأة في تطويل المدة لأجلها بمراجعة الزوج واستدامة النكاح، وفي عدم تجاوزه أيضا لأجلها، في حال الرغبة عنها بالطلاق وفي انقضاء تربصها في عدة الوفاة.

فلما كان النكاح في أجل العدة محترما، وأن المطلقة إذا قضت عدتها جاز لها أن تفعل في نفسها ما تشاء بالمعروف؛ بيّن أن التزوّج في مدة الأجل محرم حتىٰ بلوغ نهايته، ولما كان المقصود تعظيمه أسند الأجل إلىٰ ذات العقد، فقال تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾ (البقرة:235)، وقد كانت عادتهم المسابقة إلىٰ خطبة المعتدة، فما إن تطلق امرأة أو يتوفىٰ زوجها إلا ويتسابق إليها الخاطبون حرصا علىٰ الاستئثار بها، فبين أن التكلم

(60) انظر: تفسير القرطبي (3/ 155)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (2/ 421).

(61) تفسير الزمخشري (1/ 277).

(62) تفسير القرطبي (3/ 155).

(63) تفسير البغوي (1/ 310).

في التزوج والعزم عليه - ومن باب أولىٰ فعل النكاح نفسه - محرم حتىٰ تنتهي العدة، وأكد ذلك بتسميته كتابا، أي: مكتوبا مفروضا، قال الرازي (ت606هـ): «وإنّما حسن أن يعبّر عن معنىٰ: فرض، بلفظ كتب؛ لأنّ ما يكتب يقع في النّفوس أنّه أثبت وآكد»[64].

***

المبحث الثالث

صفات الأجل والإضافة فيه في القرآن الكريم

وفيه مطالب:

المطلب الأول: صفات الأجل في القرآن الكريم ودلالاتها.

وُصف الأجل في القرآن الكريم بأوصاف متعددة، منها ما هو مفرد وهو ثلاثة: (المسمىٰ)، وهو أكثرها، و(القريب)، و(المعدود)، ومنها ما هو جملة.

أولاً: الأجل المسمىٰ:

وصف الله الأجل في القرآن الكريم بـ(المسمىٰ)، والمسمىٰ هو المعيّن المميّز بشيء يميزه عن غيره، قال ابن عاشور (ت1393هـ): «والمسمّىٰ حقيقته المميّز باسم يميّزه عمّا يشابهه في جنسه أو نوعه، فمنه أسماء الأعلام وأسماء الأجناس، والمسمّىٰ هنا: مستعار للمعيّن المحدود، وإنّما يقصد تحديده بنهاية من الأزمان المعلومة عند النّاس، فشبّه ذلك بالتّحديد بوضع الاسم بجامع التّعيين، إذ لا يمكن تمييزه عن أمثاله إلّا بذلك، فأطلق عليه لفظ التّسمية»[65].

وقد ورد وصف الأجل بالمسمىٰ في تسعة عشر موضعا:

فتارة يقصد به الأجل المعلوم المعيّن بوقت معلوم لدىٰ المتعاقدين: قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ (البقرة:282)، فقد نزلت هذه الآية في بيع السَلَم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[66]، وهو بيع موصوف في الذمة بثمن معجل[67].

فأما ذكر الأجل، مع أن الدين يفيد التأجيل؛ فلأجل وصفه بالمسمىٰ، ولو لم يذكر الأجل لعاد الوصف المسمىٰ علىٰ الدَّين، ولم تحصل فائدة تسمية وتعيين الأجل، والذي هو شرط في صحة المداينة[68].

وأما وصف الأجل بالمسمىٰ؛ فلأنه لا تصح المداينة إلا بأجل مسمىٰ معلوم، قال الزمخشري (ت538هـ): «فإن قلت: ما فائدة قوله مسمّىٰ. قلت: ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوما كالتوقيت

(64) تفسير الرازي (6/ 473).

(65) التحرير والتنوير، لابن عاشور (3/ 99).

(66) انظر: تفسير البغوي (1/ 392).

(67) انظر: التعريفات، للجرجاني (ص120)، والروض المربع بشرح زاد المستقنع مختصر المقنع، للبهوتي (2/ 281).

(68) تفسير الرازي (7/ 91) بتصرف.

بالسنة والأشهر والأيام، ولو قال: إلىٰ الحصاد، أو الدياس، أو رجوع الحاج، لم يجز لعدم التسمية»[69].

وعلىٰ هذا دلت السنة، فعن ابن عباس ﷺ قال: قدم النبي ﷺ المدينة، وهم يسلفون بالتمر السنتين والثلاث فقال: (من أسلف في شيء ففي كيل معلوم إلىٰ أجل معلوم)[70]، وعليه إجماع أهل العلم[71].

ولما كان السلم فيه توسعة علىٰ العباد إلىٰ حلول قضائه؛ استعمل لفظ الأجل، لما في هذا اللفظ من معنىٰ التوسعة والإمهال، والله تعالىٰ أعلم.

وتارة يقصد به الموت: كما قال تعالىٰ: ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ (الزمر:42)، قال الرازي (ت606هـ): «إلىٰ أجل مسمّىٰ أي إلىٰ وقت ضربه لموتها»[72].

فإن لكل نفس أجلاً سماه الله تبارك وتعالىٰ في اللوح المحفوظ، وفي هذا تذكير بهذا الأجل وأنه معيّن في علم الله وسيأتي، فيكون في ذلك عظة للمخاطبين بالاستعداد له، وأن النفس التي أرسلت بعد موتها في المنام سيأتي أجلها وينتهي إمهالها، فيكون في ذلك حث لها علىٰ الاستعداد لهذا اللحظة بالإيمان بالله تعالىٰ والعمل الصالح.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (هود:3)، فقد جعل الله الاستغفار والتوبة والرجوع إليه سبيلا للمتاع الحسن والبسط في الدنيا ونعيمها مدة البقاء فيها، فإن الأجل لموتهم معين، ولكن باستجابتهم لأمر الله يكون بقاؤهم منعّمين ممتعين، وفي تذكيرهم بالأجل تنبيه بأن لهذا النعيم الدنيوي نهاية، فيستعينون به علىٰ طاعة الله حتىٰ يحصل له النعيم المقيم في الآخرة، وحث لهم علىٰ طلب الآخرة؛ فإن هذا النعيم الذي حصل لهم ليس بباقٍ كما هو نعيم الآخرة.

ووصفه بالمسمىٰ تأكيدا لحصوله وأنه معين لا يتقدم ولا يتأخر، والله أعلم.

وتارة يقصد به البعث وقيام الساعة: قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (الأنعام:2)، فقد امتنَّ الله علىٰ خلقه بإيجادهم من العدم، وخلقهم من نسل آدم الذي خلقه من طين، ثم قدر لهم آجالهم، ثم بعد هذا يشكّون في قدرته وعظمته.

ذكر الله ﷻ هنا أجلين: الأول مجرد من الوصف، والثاني موصوف بالـ (مسمىٰ)، أي: معيّن معلوم له سبحانه، اختص به نفسه الكريمة بقوله تبارك وتعالىٰ:

(69) تفسير الزمخشري (1/ 325).

(70) أخرجه البخاري في باب السلم في وزن معلوم، برقم (2125)، (2/ 781)، ومسلم في كتاب البيوع، برقم (1604)، (3/ 1226).

(71) انظر: تفسير القرطبي (3/ 378).

(72) تفسير الرازي (26/ 456).

(عنده)، وقد اختلف العلماء في المراد بالأجلين هنا على ثمانية أقوال:

القول الأول: أن الأجل الأول من أن يُخلق إلى أن يموت، والثاني من الموت إلى البعث، وبه قال ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة وقتادة والحسن والضحاك وزيد بن أسلم وسعيد بن المسيب ومقاتل، ورجحه الطبري (ت310هـ)، والزجاج (ت311هـ)[73].

قالوا: لأن الله تبارك وتعالى نبه خلقه على موضع الحجة عليهم بهذا الخلق وهذه الآجال، فقال: إن الذي يعدل به هؤلاء الكفار من آلهتهم وأصنامهم هو الذي خلقكم من طين ثم جعلكم أحياء بعد أن كنتم جمادا لا حياة فيكم، ثم جعل لكم آجالا تنتهي بها حياتكم ثم يعيدكم ترابا كما كنتم، ثم يعيدكم للبعث في وقت معلوم عنده سبحانه، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة:28)[74].

القول الثاني: أن المراد بالأجل الأول الدنيا، وبالثاني الآخرة، فالمعنى: قضى الدنيا وعنده الآخرة، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير[75]، وهو في معنى القول الأول.

القول الثالث: أن المراد بالأجل الأول أجل الآخرة متى يأتي، وبالأجل الثاني أجل الدنيا، وهو رواية عن مجاهد[76].

ويَرِد على هذا القول أن تسلسل الخلق يقضي بأن يكون الأجل الثاني هو الآخرة، فإن الله خلق الخلق من طين، ثم قضى الأجل الأول وهو الموت، ثم سمى الأجل الثاني عنده وهو البعث وقيام الساعة، فهذا القول خروج عن تسلسل الخلق، والله أعلم.

القول الرابع: أن المراد بالأجل الأول النوم، تقبض فيه الروح ثم ترجع إلى صاحبها حال اليقظة، والأجل الثاني الموت، وهو رواية العوفي عن ابن عباس[77].

وقال عنه ابن كثير (ت774هـ): «وهذا قول غريب»[78]، ذلك أن النوم لا يسمى أجلا، ولم يرد في معاني الأجل أنه النوم، ثم إنه متكرر، فأي نوم قضاه الله أجلا، فلا يصح أن يكون النوم أجلا، والله تعالى أعلم.

القول الخامس: أن المراد بالأجل الأول حين

(73) انظر: تفسير الطبري (9/ 150)، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج (2/ 228)، وتفسير الماوردي (2/ 93)، والتفسير البسيط، للواحدي (8/ 11)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (3/ 239).

(74) انظر: تفسير الطبري (9/ 150).

(75) انظر: تفسير الثعلبي (4/ 134).

(76) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (2/ 8).

(77) انظر: تفسير الثعلبي (4/ 134).

(78) تفسير ابن كثير (3/ 239).

أخذ الله تبارك وتعالىٰ الميثاق علىٰ خلقه في ظهر آدم، والأجل الثاني الحياة الدنيا، كأنه يشير إلىٰ أجل الذرية حين أوجدهم وأحياهم بعد هذا الميثاق، قاله ابن زيد[79].

ويجاب عنه: بأن أخذ الميثاق لا يعد أجلا، فالأجل والتأجيل والإمهال إنما يكون بعد الخلق، وسياق الآية يدل علىٰ أن المقصود بذلك الأجل إنما هو بعد الخلق، فكيف يكون الأجل قبل أن يخلقوا.

القول السادس: أن الأجل الأول هو أجل من مات، والأجل الثاني هو أجل من سيموت، فمن مات صار أجله معلوما، ومن لم يمت لم يعلم أجله بعد، فخصه بأنه مسمىٰ عنده، وهو قول أحمد بن كامل ابن شجرة (ت350هـ)[80].

القول السابع: أن الأول خَلْقُ الأشياء في ستة أيام، والثاني ما كان بعد ذلك من خَلْق إلىٰ قيام الساعة، وهو قول عطاء الخراساني[81].

ويجاب عنه: بأن الله تبارك وتعالىٰ قد خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وقد ذكر خلقها في الآية الأولىٰ، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام:1)، ثم انتقل إلىٰ بيان آجال المخاطبين بعد أن بين منشأهم وأصلهم، فقدم مادحا نفسه حامدا لها، ثم بين منَّته علىٰ خلقه، إيجادا وإمهالا.

القول الثامن: أن لكل إنسان أجلين: أجل طبيعي، وأجل اخترامي، فالطبيعي ما كان الموت فيه طبيعيا، وهو الأجل الأول، والاخترامي ما كان الموت فيه بعارض كالغرق أو الحرق أو القتل، وهو الأجل الثاني، ونسبه الرازي (ت606هـ) إلىٰ حكماء الإسلام[82].

ويجاب عنه: بأن أجل الموت الذي قدره الله تبارك وتعالىٰ واحد، وإن اختلف سببه، ولذا فإن الملك حين ينفخ الروح يؤمر بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد كما ورد في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه[83]، وعلىٰ اختلاف الآجال فإن الملك يكتبها، وعلىٰ التنزل في تسميتها طبيعية واخترامية؛ فقد سماها كلها آجالا، وهذا من التكلف في تسمية الآجال، وأيضا: فلازم هذا القول أن الآجال الطبيعية ليست مسماة، فهذا تفريق

(79) انظر: تفسير الماوردي (2/ 93)، وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (2/ 9).

(80) انظر: تفسير الماوردي (2/ 93)، وتفسير الرازي (12/ 480).

(81) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (2/ 8).

(82) انظر: تفسير الرازي (12/ 481).

(83) أخرجه البخاري في باب ذكر الملائكة، برقم (3036)، (3/ 1174)، ومسلم في كتاب القدر، برقم (6816)، (8/ 44).

للمتشابهات بغير دليل، والله تعالىٰ أعلم.

والراجح هو القول الأول، لأسباب منها:

1- أن سياق الآية في إثبات وحدانية الله تبارك وتعالىٰ، وتقرير البعث، فناسب أن يكون هو المراد بالأجل المسمىٰ، ولذا قال: (مسمىٰ عنده)، فلا يعلم وقته إلا هو سبحانه.

2- أن هذا القول هو قول جمهور المفسرين، كما سبق.

3- أن في الأجل معنىٰ الأمد والإمهال، وهذا يتسق مع الأجلين في الآية، فالأول أمد الحياة الدنيا إلىٰ الموت، والثاني أمد البرزخ إلىٰ البعث، والله تعالىٰ أعلم.

ومن ذلك أيضا قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ (طه:129)، ومعناه: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمىٰ لكان العذاب لازما لهم[84].

وقد اختلف العلماء في المراد بالأجل المسمىٰ هنا علىٰ قولين:

الأول: أنه العذاب في الدنيا، ومنه يوم بدر، وهو قول مجاهد[85].

الثاني: أنه أجل القيامة، وهو قول قتادة[86]، وحكاه الواحدي (ت468هـ) عن الجميع[87]، وهو الراجح؛ فإن الوعيد مستمر في حق من بقي من كفار مكة بعد بدر، وهو كذلك في حق الكفار إلىٰ قيام الساعة، قال ابن عاشور (ت1393هـ) بعد أن ذكر اشتهار تفسير اللزام بعذاب الدنيا ومنه يوم بدر: «وليس في القرآن ما يحوج إلىٰ تأويل اللّزام بهذا كما علمت»[88]، والله أعلم.

ومثل هذا قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورىٰ:14)، فهل المقصود أجل عذابهم؟ أو أجل الساعة؟ قولان لأهل العلم.

قال قتادة: إلىٰ قيام الساعة؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ (القمر:46)[89].

وفي التعبير بالأجل تذكير بنعمة الله تبارك وتعالىٰ في الإمهال وتأخير المؤاخذة بالعذاب، وفي وصفه بالمسمىٰ تهديد ووعيد بتحقق وقوعه، فلا يغرنكم إمهال الله لكم، فإذا جاء الأجل المسمىٰ لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

---

(84) انظر: تفسير الطبري (16/ 207)، والتفسير البسيط، للواحدي (14/ 555)، وتفسير ابن عطية (4/ 69).

(85) انظر: التفسير البسيط، للواحدي (14/ 555).

(86) انظر: تفسير الماوردي (3/ 432).

(87) انظر: التفسير البسيط، للواحدي (14/ 555).

(88) التحرير والتنوير، لابن عاشور (16/ 337).

(89) انظر: تفسير الماوردي (5/ 198).

ومما يقصد به البعث وقيام الساعة أجل فناء السماوات والأرض، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (الروم:8)، وقال: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (الأحقاف:3)، قال الطبري (ت310هـ): «يقول: وبأجل مؤقّت مسمّىٰ، إذا بلغت ذلك الوقت أفنىٰ ذلك كلّه، وبدّل الأرض غير الأرض والسّماوات، وبرزوا للّه الواحد القهّار»[90].

فقد خلق الله السماوات والأرض وما فيها لا لتبقىٰ سرمدا، وإنما جعلها مدة يتذكر فيها من تذكر، ويعمل فيها استعدادا للدار الآخرة من وفق للعمل، ثم يحين الأجل الذي عينه سبحانه لفنائها، ثم يقع الجزاء.

ومثل ذلك جريان الشمس والقمر في الأفلاك، وهو مدة بقاء النظام الشمسي، فإذا اختل هذا النظام الذي سمىٰ الله أجله وعيّن نهايته قامت القيامة، قال تعالىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (الرعد:2)، قال الطبري (ت310هـ): «لأجل مسمّىٰ: أي لوقت معلوم، وذلك إلىٰ فناء الدّنيا وقيام القيامة»[91]، وهذا قول ابن عباس والحسن[92].

وروي عن ابن عباس أن الأجل المسمىٰ لجريان الشمس والقمر هو بلوغ منازلها ودرجاتها[93]، وهو قول قتادة[94]، وحاصل هذا القول راجع إلىٰ القول الأول، إذ إن جريانها إلىٰ منازلها سينتهي بفناء الدنيا وقيام الساعة، وقال ابن كثير (ت774هـ): «وكلا المعنيين صحيح»[95].

وفي تحديده بالأجل المسمىٰ إشارة إلىٰ أن لهذا الجريان أمداً يعلم نهايته الله تبارك وتعالىٰ، فإذا انتهىٰ هذا الأمد أذن الله تبارك وتعالىٰ بزواله وقيام الساعة، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (القيامة:8-13).

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: (تدري أين تذهب)، قلت: الله ورسوله أعلم، قالك (فإنها تذهب حتىٰ تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾

(90) تفسير الطبري (18/ 464).

(91) المرجع السابق (13/ 411).

(92) انظر: تفسير الماوردي (4/ 346)، والتفسير البسيط، للواحدي (12/ 285).

(93) انظر: تفسير الثعلبي (5/ 269)، التفسير البسيط، للواحدي (12/ 285).

(94) انظر: تفسير الماوردي (4/ 346).

(95) تفسير ابن كثير (6/ 350).

(يس:38))[96].

وفي جريانهما تذكير للغاية التي خلقوا من أجلها، إذ بجريانهما تحسب الأنفاس، ثم لها أمد ينتهي انتهاء خاصا بانتهاء هذه الأنفاس، أو انتهاء عاما بانتهاء جريانهما، فنعمة تسخيرهما وجريانهما مذكرة بنعمة الإمهال، قبل أن يأذن الله لها بالزوال.

وتارة يقصد به أجل الولادة وخروج الجنين من بطن أمه: قال تعالىٰ: ﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (الحج:5)، فبعد خلق الله له جنينا في رحم أمه مرورا بمراحل تخلقه، نطفة ثم علقة ثم مضغة، فإن الله يقر فيها من كتب الله له بقاء وحياة إلىٰ الأجل الذي شاءه الله تبارك وتعالىٰ وسماه لولادته، من ستة أشهر إلىٰ ما شاء الله تعالىٰ من أقصىٰ مدته، - علىٰ خلاف بين الفقهاء في أعلاها[97]-، فإذا تم أجله أذن الله له بالخروج.

فالأجل نهاية مدة بقائه التي شاء الله تعالىٰ بقدرته بقاءه فيها، والمسمىٰ الذي سماه الله وحدده في اللوح المحفوظ.

وفي هذا إشارة إلىٰ أن بعض ما يتخلق ويكتمل نموه في بطن أمه لا يشاء الله تعالىٰ بقاءه، فيسقط ميتا، وفي هذا منَّة علىٰ خلقه، فلو شاء لم يمد في أجل الجنين، فيكون سقطا[98].

وتارة يقصد به النحر: قال تعالىٰ: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ (الحج:33)، فقد أباح الله تبارك وتعالىٰ الانتفاع بالبدن إلىٰ أن تنحر في أحد أيام منىٰ، قال عطاء بن أبي رباح وهو رواية عن ابن عباس: ينتفع بها إلىٰ أن تنحر، وقال ابن عمر ومجاهد وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وهو رواية ابن عباس: ينتفع بها ما لم يوجبها ولم يسمها بدنة، وقيل غير ذلك[99].

والراجح أن المقصود الأجل المسمىٰ هو نحرها، ذلك أن الله تبارك وتعالىٰ سماها شعائر ولا تسمىٰ شعائر حتىٰ تشعر وتقلد وتسمىٰ للنحر، ثم أعاد الضمير (فيها) بإباحة الانتفاع بها، فدل علىٰ جواز الانتفاع بها وقت إشعارها، وأن نهاية الانتفاع بها هو الأجل المسمىٰ وهو النحر، ولو كان المقصود الانتفاع

(96) أخرجه البخاري في باب صفة الشمس والقمر بحسبان، برقم (3027)، (3/ 1170)، ومسلم في كتاب الإيمان، برقم (318)، (1/ 96).

(97) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء (6/ 1182).

(98) انظر: تفسير الطبري (16/ 464)، والتفسير البسيط، للواحدي (15/ 265)، وتفسير أبي السعود (17/ 199).

(99) انظر: تفسير الطبري (16/ 542)، تفسير الماوردي (4/ 23)، وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (3/ 236)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (17/ 25).

بها إلىٰ إيجابها؛ فما الحاجة إلىٰ بيانه مع كونه معلوما.

ويدل له ما رواه أبو هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ رأىٰ رجلا يسوق بدنة، فقال: (اركبها) فقال: إنها بدنة، فقال: (اركبها) قال: إنها بدنة، قال: (اركبها ويلك) في الثالثة أو في الثانية[100].

فدل علىٰ جواز ركوب البدن والانتفاع بها مع أنها مشعرة وموجبة، إلىٰ أن يحل الأجل المسمىٰ فتنحر عنده، والله تعالىٰ أعلم.

وفي استعمال الأجل معنىٰ الإمهال والتوسعة، فقد وسع الله عليهم مدة حبسها، وأنعم عليهم بالانتفاع بها، وهذا مما يقوي أن يكون المقصود بالأجل المسمىٰ هنا هو النحر، فتوسعة الله تبارك وتعالىٰ عليهم بإطالة أمد الانتفاع من ظاهر نعم الله تعالىٰ وكرمه علىٰ عباده، والله تعالىٰ أعلم.

ثانيا: الأجل القريب:

ومما وصف به الأجل في القرآن الكريم (القريب)، وذلك في ثلاثة مواضع من كتاب الله.

ومعنىٰ القريب القليل زمنه، شبَّه الزمان بالمسافة.

قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ (النساء:77).

قال الطبري (ت310هـ): «ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد، وقد فرض عليهم الصلاة والزكاة، وكانوا يسألون الله أن يُفرض عليهم القتال، فلما فرض عليهم القتال شقّ عليهم ذلك، وقالوا ما أخبر الله عنهم في كتابه»[101]، وروىٰ نحوه عن ابن عباس وعكرمة وقتادة[102].

وقيل: إن هذه الآية في المنافقين، فإنهم يظهرون نفاقهم وقت المحن والقتال، وأن هذا القول لا يمكن أن يصدر من صحابي كريم، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ ﴾ (محمد:20)[103].

وقيل غير ذلك، ولا مانع من وقوعه من بعض الصحابة ﵃ وليسوا معصومين من الخطأ، وإنما قالوا ذلك لا اعتراضا علىٰ الله ولكن جزعا من الموت وحبا في الحياة واستزادة في مدة الكف واستمهالا إلىٰ وقت

(100) أخرجه البخاري في باب ركوب البدن، برقم (1689)، (2/ 167)، ومسلم في كتاب الحج، برقم (1322)، (2/ 960).

(101) تفسير الطبري (7/ 230).

(102) انظر: المرجع السابق (7/ 231- 233).

(103) انظر: تفسير القرطبي (5/ 281).

آخر[104]، كما أنه يقع من المنافقين كذلك، ولذا فإن الآية تعم كل من كان هذا حاله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ): «والمعنىٰ متناول لهؤلاء ولهؤلاء، ولكلّ من كان بهذه الحال»[105].

وقد اختلف في الأجل القريب علىٰ قولين:

القول الأول: أنه إمهال إلىٰ الموت، وهو قول السدي ومقاتل[106].

ومعناه: هلا تركتنا نموت علىٰ الفرش في المنازل بدون قتال ولا مشقة، فيزول عنا العناء مدة حياتنا، وحاصله تمني انتفاء فرض الجهاد، وقد استبعده ابن عاشور (ت1393هـ) قال: «وهذا بعيد؛ لعدم ملاءمته لسياق الكلام، إذ ليس الموت في القتال غير الموت بالأجل، ولعدم ملاءمته لوصفه بقريب؛ لأنّ أجل المرء لا يعرف أقريب هو أم بعيد إلّا إذا أريد تقليل الحياة كلّها»[107].

القول الثاني: أنه استزادة في مدة الكف، وإمهال إلىٰ زمن آخر، فكأنهم قالوا: هلاّ أخرت فرض الجهاد عنّا قليلا حتىٰ نكثر ونقوىٰ[108].

(104) انظر: تفسير النيسابوري (2/ 449).

(105) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (14/ 233).

(106) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (1/ 434).

(107) التحرير والتنوير، لابن عاشور (5/ 126).

(108) حكاه الزمخشري في تفسيره (1/ 536)، وابن الجوزي في زاد المسير (1/ 434).

ومما يقوي القول الأول الآية بعدها، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ (النساء:78)، فبين أن الحذر من الموت لا يمنعه، ولو كانوا في بروج مشيدة.

وعلىٰ كلا القولين؛ فإن المقصود به الإمهال اليسير، مدة يستطيعون معها الإتيان بما فاتهم، ووصف الأجل ب (قريب)؛ رغبة في قبول طلبهم وأرجىٰ في الاستجابة له، ذلك أن المعهود قبول ما كان يسيرا وليس فيه كلفة علىٰ المسؤول، فيستجيب لطلبه، فطلبوا ذلك من الله ﷻ علىٰ ما هو مستقر في نفوسهم مما اعتادوه ووجدوه ضرورة في نفوسهم ألا يردون في طلبهم، والله تعالىٰ أعلم.

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ (إبراهيم:44). قال الواحدي (ت468هـ): «وذلك أنهم لما استمهلوا للإجابة صار كأنهم قالوا: أرجعنا إلىٰ الدنيا أياما؛ لأن الآخرة ليست بدار تكليف، وإنما كلّفوا الإجابة في دار الدنيا، فيجابون عن هذا الاستمهال، ويقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾»[109].

وحاصله أن طلب الأجل القريب منهم ليس بشيء في مقابل الأجل المسمىٰ الذي سماه الله ﷻ وحده، فإذا جاءهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

(109) التفسير البسيط، للواحدي (12/ 505).

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون:10-11)، فهذا نفي لتأخير الأجل علىٰ وجه التأكيد، وفي تصوير موقف الحسرة هذا كالمشاهد لهم عظة وتنبيه علىٰ هذه الحال، وحث علىٰ تدارك مدة الإمهال، واستغلال لزمن العمل قبل أن يحل بهم الأجل، ويندموا ولات مندم، والله تعالىٰ أعلم.

ويظهر في جميع المواضع التي ورد فيها هذا الوصف أن طلب الأجل بعد انتهاء مهلته، يصحبه تمني صاحبه حصوله مع التحسر والتندم، ولشدة حاجته له طلبه ولو كان قريبا قليلا، والله تعالىٰ أعلم.

ثالثًا: الأجل المعدود:

ومما وصف به الأجل في القرآن الكريم (المعدود)، وذلك في موضع واحد في سورة هود في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ (هود:104).

والأجل هنا هو نهاية المدة؛ بقرينة اللام في قوله: (لأجل)، فهي انتهاء لغاية الأجل.

والمعدود هو: المحسوب، أصله من العدَّ وهو الحساب والإحصاء[110]، أي: إلىٰ وقت مؤقت مضبوط معلوم، كنّىٰ به عن القرب كقوله تعالىٰ: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ ﴾ (البقرة:184)، كناية عن القلة، ذلك أن الشيء القليل يعد عدّاً[111].

والمقصود الرد علىٰ منكري هذا الأجل مستدلين بتأخر وقوعه، فإنه واقع لا محالة لا يتقدم ولا يتأخر عن وقته الذي وُقّت له، وأنه آت وكل آت قريب.

والتعبير بالمعدود فيه معنىٰ المسمىٰ وزيادة، فإنه معين مؤقت بوقت محدد، وزاد معنىٰ القرب، لتحذر النفوس وتستدرك ما فاتها، وتُقبِل علىٰ الله تبارك وتعالىٰ بالإيمان والعمل الصالح، قبل أن يحل ذلك اليوم القريب العظيم الأهوال، ولذا كان الترهيب واضحا في سياق الآيات، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ (هود:103).

رابعًا: وصف الأجل بالجملة الاسمية:

وكما وصف الأجل في القرآن الكريم مفردا؛ فقد جاء الوصف بالجملة الاسمية في قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ (الأعراف:135)، فجملة ﴿ هُم بَٰلِغُوهُ ﴾ جملة أسمية، جاءت بعد نكرة، فتكون صفة.

وقوله تعالىٰ: ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ ﴾ متعلق بـ﴿ كَشَفْنَا ﴾،

---

(110) انظر: العين، للفراهيدي (1/ 79)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (4/ 29).

(111) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (2/ 180)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (2/ 161).

فقد أزال الله تبارك وتعالىٰ عنهم العذاب بدعوة موسىٰ عليه السلام إلىٰ حد معين من الزمان ﴿ هُم بَٰلِغُوهُ ﴾ لا محالة، فيقع عليهم العذاب وقتها، ولا ينفعهم ما تقدم من إمهال الله لهم.

والوصف بالجملة الإسمية هنا أبلغ من الوصف بالمفرد؛ لتكرار الضمير المؤذن بالتفخيم، فليس في حسن التركيب كما لو كان مفردا، والله أعلم[112].

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾ (الإسراء: 99)، فقد وصفه الأجل بجملة ﴿ لَّا رَيۡبَ فِيهِ ﴾، فهذا الأجل كائن لا محالة، فالارتياب فيه مكابرة، فكما أنهم رأوا بدليل العقل أنه خلق السماوات والأرض، وأنه سبحانه وتعالى قادر علىٰ خلق مثلهم، ومن خلق ابتداء فهو قادر علىٰ إعادة الخلق من باب أولىٰ، ولذا عطف جعل الأجل علىٰ خلق السماوات والأرض، فالشك فيه والارتياب في حصوله ضرب من المكابرة، فكان في وصفه بأنه (لا ريب فيه) بيان لما هو مستيقن عندهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾ (النمل:14)، والله تعالىٰ أعلم.

المطلب الثاني: الإضافة في الأجل في القرآن الكريم ودلالاتها.

وقد يرد لفظ الأجل مضافا؛ لدلالة معينة تختصه، وقد تعدد المضاف إليه، فتارة يكون للاسم الظاهر لفظ الجلالة (الله)، وتارة يكون للضمير المتصل علىٰ اختلاف نوعه، ولتفصيل ذلك نقول:

أولاً: الإضافة إلىٰ اسم الجلالة (الله) سبحانه وتعالى:

أُضيف الأجل إلىٰ اسم (الله) جل جلاله، قال الله تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ (العنكبوت:5)، وإنما أضافه إليه سبحانه وتعالى لأنه هو الذي أثبته وعيّنه وقدره.

وفائدته: تهويله وتعظيمه، والإيماء إلىٰ أن أجله سبحانه لا يخلف وأنه آت لا محالة.

ومقصوده: الاهتمام به والتحريض علىٰ الاستعداد له؛ علىٰ القول بأن المراد بلقاء الله هو الوقت الذي عيّنه في علمه للبعث والحساب.

وعلىٰ القول بأن المراد به: الوقت الذي عيّنه لنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؛ فإن المقصود به تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، فمعناه أن مِن لازم إيمانكم بلقاء الله تصديق وعده بالنصر؛ لأنه هو الذي وعد به، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، ولذا جاء التوكيد في جملة جزاء الشرط؛ لتزيل ما قد يعتري النفس من وساوس الشيطان مشككة بوعد الله، وبهذا يظهر وقع تذييل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، سميع لأقوالكم من طلب النصر واليأس من تأخره، عليم بما في نفوسكم من استبطائه والشك في وعده، وهذا ما يقوي هذا الوجه في

(112) انظر: تفسير الزمخشري (2/ 148)، والبحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (5/ 154).

المقصود بالإضافة هنا.

قال ابن عاشور (ت1393هـ) بعد أن ذكر أوجه المقصود بالإضافة: «وإظهار اسم الجلالة في جملة ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ ﴾ مع كون مقتضىٰ الظّاهر الإضمار؛ لتقدّم اسم الجلالة في جملة الشّرط ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ ﴾؛ لئلّا يلتبس معاد الضّمير بأن يعاد إلىٰ (مَن)، إذ المقصود الإعلام بأجل مخصوص، وهو وقت النّصر الموعود»[113].

ثانيـًا: الإضافة إلىٰ ضمير المتكلمين (نا):

وقد ورد مضافا إلىٰ (نا) المتكلمين أيضـًا، ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ ﴾ (الأنعام:128)، وقد مر معنا الخلاف في المراد بالأجل: هل هو الموت أو البعث؟ وعلىٰ أيٍّ فقد أضيف إلىٰ (نا) المتكلمين؛ لأنهم هم المتكلمون بإفادة بلوغ الأجل، وأن هذا الأجل الذي وُقِّت لهم قد عاينوه وشاهدوه، ولذا قال: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ ﴾، وفيها معنىٰ التحسر والندامة ما لا يحصل بدونها، حيث سُدّت في وجوههم السبل ولا طريق إلىٰ النجاة، ولا يغني استمتاعهم وتبعيتهم لغواية أوليائهم، قال القرطبي (ت671هـ): «يعني الموت والقبر، ووافينا نادمين»[114].

(113) التحرير والتنوير، لابن عاشور (20/ 209).

(114) تفسير القرطبي (7/ 84).

ثالثـًا: الإضافة إلىٰ ضمير المفرد المذكر الغائب:

وقد أضيف إلىٰ (هاء) المفرد المذكر الغائب في موطنين، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ ﴾ (البقرة:235)، فالضمير هنا عائد إلىٰ الكتاب، وهو المكتوب المفروض من الله تعالىٰ، وهو هنا العدة التي فرضها الله تبارك وتعالىٰ علىٰ المطلقة والمتوفىٰ عنها زوجها[115].

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ﴾ (البقرة:282)، فقد عاد الضمير إلىٰ الحق الذي يُكتب بين المتداينين، أمر الله تبارك وتعالىٰ بكتابته إلىٰ أجله[116].

وفائـدة الإضـافة في الموضـعين؛ التغييـة، فغايـة النهي عن عقد النكاح ببلوغ الأجل، وغاية الكتابة ببلـوغ الحق أصحابه.

رابعـًا: الإضافة إلىٰ ضمير المفرد المؤنث الغائب:

وأضيف أيضا إلىٰ (هاء) المفرد المؤنث الغائب، ذلك أن الضمير فيها عائد علىٰ مؤنث، فقوله تعالىٰ: ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ (الحجر:5)، وقوله: ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ (المؤمنون:43)؛ فالهاء في قوله: ﴿ أَجَلَهَا ﴾ عائدة علىٰ أمة، ولفظها مؤنث، فأنَّث

(115) انظر: التفسير البسيط، للواحدي (4/ 276)، وتفسير البغوي (1/ 318).

(116) انظر: تفسير البغوي (1/ 395).

الضمير، فأما تذكير الاستئخار في قوله: ﴿ وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾؛ فإخراجا له على معنى الرجال[117].

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (المنافقون:11)، فإنها عائدة على النفس، ولفظها مؤنث فكذلك أُنِّث الضمير.

خامساً: الإضافة إلى ضمير الجمع المذكر الغائب (هم):

وقد أضيف إلى ضمير الجمع المذكر الغائب (هم) كثيرا، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ (الأعراف:34)، فلما كان وقوع الأجل غير معروف، وكان مورده في سياق التهديد؛ فقد غلب استعماله في تهديد المكذبين حتى ينتهوا عن غيهم ويعودوا إلى رشدهم قبل انتهاء زمن الإمهال، ولذا أضيف إلى ضمير الجمع العائد على هؤلاء المكذبين من الأمم؛ لأنه مضروب لهم[118].

سادساً: الإضافة إلى ضمير الجمع المؤنث الغائب (هن):

كذلك أضيف إلى ضمير الجمع المؤنث الغائب (هن)، والمقصود بالأجل في جميع الآيات التي أضيف فيها إلى ضمير الإناث العدة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ (البقرة:231)، ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ﴾ (الطلاق:2)، فلما كان الأجل محدودا مضروبا في أمرهن؛ أضافه إليهن[119]، ذلك أنهن اللائي يقع منهن التربص ومشقته؛ فكانت هذه الإضافة مؤذنة بأنهن قد قضين ما عليهن من الأجل، قال ابن عاشور (ت1393هـ): «وأسند (بلغن) إلى النّساء؛ لأنّهنّ اللّاتي ينتظرن انقضاء الأجل، ليخرجن من حبس العدّة، وإن كان الأجل للرّجال والنّساء معا، للأوّلين توسعة للمراجعة، وللأخيرات تحديدا للحلّ للتّزوّج. وأضيف الأجل إلى ضمير النّساء لهاته النّكتة»[120]، وقال أيضاً: «وعرّف الأجل بالإضافة إلى ضميرهنّ دون غير الإضافة من طرق التّعريف لما يؤذن به إضافة أجل من كونهنّ قضين ما عليهنّ، فلا تضايقوهنّ بالزّيادة عليه»[121]، والله تعالى أعلم.

* * *

الخاتمة:

وبعد فإني أحمد الله تبارك وتعالى على ما منّ به من إتمام البحث، وقد خلصت فيه إلى عدد من النتائج من أهمها:

- أن معنى الأجل في اللغة عائد إلى المدة، سواء

(117) انظر: معاني القرآن، للفراء (2/ 84).

(118) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (19/ 383)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (9/ 197).

(119) انظر: تفسير ابن عطية (1/ 314)، وتفسير القرطبي (3/ 186).

(120) التحرير والتنوير، لابن عاشور (2/ 422).

(121) المرجع السابق (2/ 446).

إليها نفسها؛ كالتأجيل بمعنىٰ تحديد المدة، أو إلىٰ آخرها؛ كالأجل بمعنىٰ الموت وحلول الدَّين، أو إلىٰ ما يدني منها؛ كالإجل بمعنىٰ الوجع في العنق، أو إلىٰ منفعتها؛ كالتأجيل مدة تمنع من أخذ الشيء دون ما ضرب له من المدة، وكالإجل: لبقر الوحش منعة وحصنا، أو إلىٰ ما يلزم فيها؛ كأَجِلَ لأهله.

- أن علاقة المعنىٰ الاصطلاحي بالمعنىٰ اللغوي للأجل علاقة الجزء بالكل، فالمعنىٰ الاصطلاحي للأجل هو أحد معانيه في اللغة، وهو أظهرها، وجمعيها راجعة إلىٰ المدة، ويمكن حملها عليها.

- أن دلالة التوسعة والإمهال حاضرة في جميع استعمالات لفظة الأجل في القرآن الكريم، سواء كان منّة من الله تبارك وتعالىٰ، أو عظة منه وتذكيرا، أو حكما وتشريعا، أو كان طلبا من المكلفين في الدنيا توسعة وإمهالا، أو في الآخرة حسرة وندامة.

- أن أخص معنىٰ للأجل هو الموت، وأن استعماله بمعنىٰ الموت يفيد معنىٰ الموت وزيادة معنىٰ الإمهال والسعة.

- وُصف الأجل في القرآن الكريم بالجملة الاسمية - وهو أبلغ؛ لتكرار الضمير-، كما وُصف مفردا بثلاث صفات: المسمىٰ - وهو أكثرها -، والقريب، والمعدود.

- أن الإضافة في الأجل في القرآن الكريم إما أن تكون للاسم الظاهر، ولم ترد إلا إلىٰ لفظ الجلالة (الله) تبارك وتعالىٰ، أو أن تكون إلىٰ الضمير مفردا كان أو جمعا، متكلما أو غائبا، مذكرا أو مؤنثا.

وأما توصيات البحث، فأبرزها:

- حصر مرادفات الأجل في القرآن الكريم ودراستها ومقارنتها، مع ابراز خاصية الدلالة لكل استعمال.

- كما أوصي بالاهتمام بهذا النوع من الدراسات الموضوعية، وهو الدراسة الموضوعية الدلالية المقارنة.

وأسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يجعل هذا العمل من العلم الذي ينتفع به صاحبه وقارئه، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، والله أعلم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحابته أجمعين.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

أحكام القرآن. الجصاص، أحمد بن علي. تحقيق: عبد السلام شاهين. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م.

البحر المحيط في التفسير. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل. د.ط، بيروت: دار الفكر، 1420هـ.

التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. د.ط،

تونس: الدار التونسية، 1984م.

التعريفات. الجرجاني، علي بن محمد. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ – 1983م.

التفسير البسيط. الواحدي، علي بن أحمد. 15 رسالة دكتوراه. ط1. الرياض: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ.

تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن). البغوي، الحسين بن مسعود. تحقيق: عبدالرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.

تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن). الثعلبي، أحمد بن إبراهيم. تحقيق: د. صلاح باعثمان وآخرون. ط1. جدة: دار التفسير، 1436هـ – 2015م.

تفسير الرازي (مفاتيح الغيب). الرازي، محمد بن عمر. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.

تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل). الزمخشري، محمود بن عمرو. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ.

تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن). الطبري، محمد بن جرير. تحقيق: د. عبد الله التركي. ط1. د.م: دار هجر، 1422هـ – 2001م.

تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). ابن عطية، عبدالحق بن غالب. تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ.

تفسير القرآن العزيز. ابن أبي زمنين، محمد بن عبد الله. تحقيق: حسين عكاشة ومحمد مصطفى. ط1. القاهرة: دار الفاروق الحديثة، 1423هـ – 2002م.

تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن). القرطبي، محمد بن أحمد. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم إطفيش. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ – 1964م.

تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تحقيق: سامي سلامة. ط2. د.م: دار طيبة، 1420هـ –1999م.

تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة). الماتريدي، محمد بن محمد. تحقيق: د. مجدي باسلوم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1426هـ – 2005م.

تفسير الماوردي (النكت والعيون). الماوردي، علي بن محمد. تحقيق: السيد عبدالمقصود. د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان). النيسابوري، الحسن بن محمد. تحقيق: زكريا عميرات. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ.

التفسير الوسيط للقرآن الكريم. مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط1. القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1393هـ – 1973م.

تهذيب اللغة. الأزهري، محمد بن أحمد. تحقيق: محمد عوض. ط1. د.م: دار إحياء التراث العربي، 2001م.

التوقيف على مهمات التعاريف. المناوي، محمد عبد الرؤوف. تحقيق: عبدالخالق ثروت. ط1. القاهرة: دار عالم الكتب، 1410هـ – 1990م.

الجامع الصحيح المختصر. البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: مصطفى البغا. ط3. بيروت: دار ابن كثير، 1407هـ – 1987م.

الروض المربع بشرح زاد المستنقع مختصر المقنع. البهوتي، منصور بن يونس. تحقيق: أ.د. خالد المشيقح وآخرون. ط1. الكويت: دار الركائز، 1438هـ.

زاد المسير في علم التفسير. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. تحقيق: عبدالرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ.

شرح العقيدة الطحاوية. آل الشيخ، صالح بن عبدالعزيز، ط1. مصر: دار المودة، 1431هـ.

العين. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي. د.ط. د.م: د.ن، د.ت.

فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. عناية: محمد فؤاد عبدالباقي. د.ط. بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

الفروق اللغوية. العسكري، الحسن بن عبدالله. تحقيق: محمد إبراهيم سليم. د.ط. القاهرة: دار العلم والثقافة، د.ت.

لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم. ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ.

القاموس المحيط. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1426هـ - 2005م.

اللباب في علوم الكتاب. ابن عادل، عمر بن علي. تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ - 1998م.

مختار الصحاح. الرازي، محمد بن أبي بكر. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5، بيروت: المكتبة العصرية، 1420هـ - 1999م.

مجموع الفتاوىٰ. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. جمع وتحقيق: عبدالرحمن بن قاسم. د.ط. المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ - 1995م.

المسند الصحيح المختصر. مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري. د.ط، بيروت: دار الجيل، 1334هـ.

معاني القرآن. الفراء، يحيىٰ بن زياد. تحقيق: أحمد النجاتي وآخرون. ط1. مصر: دار المصرية للتأليف، د.ت.

معاني القرآن وإعرابه. الزجاج، إبراهيم بن السري. تحقيق: عبدالجليل عبده. ط1. بيروت: دار عالم الكتب، 1408هـ - 1988م.

مقاييس اللغة. ابن فارس، أحمد بن فارس. تحقيق: عبدالسلام هارون. د.ط. د.م: دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. تحقيق: صفوان الداودي. ط1. بيروت: دار القلم، 1412هـ.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. البقاعي، إبراهيم بن عمر. تحقيق: عبدالرزاق المهدي. د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.

* * *